

حركة الأرض في القرآن الكريم



«كان قد أجمع علماء اليونان قبل الميلاد على أن الأرض ثابتة لا حراك لها وأن الشمس والأنجم تدور حولها، حتى كان القرن السابع عشر الميلادي وجاء (غاليليو) بمرقبه وثبت لدى العلماء الكونيين: أن الأرض تتحرك حول الشمس وأن الشمس ثابتة لا حراك لها. وحصل من جراء هذه العقيدة شجار عنيف بين الكنيسة التي كانت تقول بسكون الأرض والعلماء الكونيين الذين قالوا بحركتها، فأعدم نتيجة هذا التصادم في الرأي كثير منهم.

إلا أن القرآن الكريم كان ينادي قبل ذلك بقرون: أن الأرض أو الجبال التي عليها تتحرك كما يتحرك السحاب وتمر كما يمر. وذلك بقوله جل من قائل: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّحْمَ الذِّي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) (النمل/ 88).

وحركة الجبال ومروورها أو حركة الأرض هذه: هي في الحقيقة حركتان: حركة في دورانها حول الشمس على شكل اهليلجي أو قطع ناقص، وحركة أخرى أو مرور آخر مع الشمس وبقيّة كواكب المجموعة الشمسية بسرعة، 70.000 كيلومتر تقريباً في الساعة الواحدة على شكل لولبي في هذا الفضاء اللانهائي متجهة نحو النجمة المسماة بالنسر الواقع كي تبلغ مستقرها كما أخبرنا □ تعالى في محكم كتابه بقوله: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (يس/ 38). ويعتبر انكشاف حركة الأرض بدورانها حول نفسها وحركتها أو دورانها حول الشمس من أروع ما اكتشفه العلم الحديث، وقد سبق القرآن هذا الاكتشاف ما يزيد على ألف سنة تقريباً.

ولا يراد بمرور الجبال في الآية المتقدمة: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً) ما يحدث يوم القيامة، ذلك لأنّه لا تبقى جبال إذا كان يوم القيامة حتى يراها الإنسان في ذلك اليوم فيحسبها جامدة. وهو القائل: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا) (طه/ 105)، وبقوله: (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتِ) (المرسلات/ 10)، وبقوله: (وَيُسَّاتِ الْجِبَالُ يَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا) (الواقعة/ 5-6).

ويقول حجة علماء الفلك: (سيمون) بشأن حركة الأرض ضمن المجموعة الشمسية: "ان من أعظم الحقائق

فقوله تعالى: (أَتَاھَا أَمْرٌ نَّالِيًّا أَوْ زَهَّارًا) يشير إلى حركة الأرض حول نفسها ودورانها حول محورها، ذلك لأن الليل والنهار يكونان على الكرة الأرضية في وقت واحد في موضعين مختلفين. وإِ تعالی لا یتردد فی تعیین وقت یرید فیہ إفناء الأرض وإبادتها: هل يكون ذلك في الليل أم في النهار، وهو خالق كل شيء والعالم بكل شيء، عالم بما هو كائن وبما سيكون، إذن، يشير قوله تعالی: (لِيَلَّا أَوْ زَهَّارًا) إلى أن قسماً من الأرض يتلقى أمر الفناء - من جانب إ تعالی - ليلاً، والقسم الآخر في نفس اللحظة يتلقى هذا الأمر نهاراً. وهذا لا يتم إلا بحركة الأرض أو دورانها حول محورها لحدوث الليل والنهار في نفس الوقت نتيجة هذا الدوران.. وقد نفينا دوران الشمس حول الأرض بالآية المتقدمة.

ويقول إ تبارك وتعالی: (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) (يس/ 40). ومعنى ذلك: أن الليل لا يسبق النهار وكلاهما يحدثان في وقت واحد. حقاً، عندما انفصلت الكرة الأرضية بحالة نارية ملتتهبة عن الشمس، كان الطرف الذي يلي الشمس نهاراً والطرف الآخر ليلاً، وعندما بدأت تدور حول نفسها وحول الشمس أيضاً بحكم الجاذبية على ما ثبت في علم (الميكانيك) كان الطرف المتوجه إلى الشمس نهاراً والطرف الآخر ليلاً. فالليل والنهار كلاهما يحدثان في آن واحد دون أن يسبق أحدهما الآخر. ثم إذا أضفنا إلى هذه الآية قوله تعالی في سورة يس: (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ)، هذه الآية: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) (الفرقان/ 62)، نعلم أن الليل يتلو النهار، فهما متعاقبان. وهذا لا يتم إلا بدور الشمس حول الأرض، أو بدوران الأرض حول محورها. وبما أن الآية:

(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) (يس/ 38). تنفي دوران الشمس حول الأرض ذلك لأن الشمس تجري لمستقر لها، ولا استقرار مع الدوران في نفس المدار، إذن: يُعلم أن لا بد لتعاقب الليل والنهار من حركة الأرض حول محورها ليكون بصورة دائمة الطرف المتوجه نحو الشمس نهاراً والطرف الآخر غير المتوجه نحو الشمس ليلاً.

ومما لا مرأى فيه: أن ليس للأجسام الصامته، السماء أن ترتب لنفسها حركاتٍ مترتبة منتظمة تحصل بسببها، أي بسبب دوران الأرض حول محورها، حياة على الكرة الأرضية، فتعيش النباتات والحيوانات عليها، إذن: يحكم العقل بصورة فطرية: أن إ تبارك وتعالی هو الذي أعطى هذه الحركات المنتظمة للكواكب والشموس كي تحصل بسببها حياة. ذلك، لأن الأرض لو كانت ثابتة، لبقى طرف منها متوجهاً نحو الشمس ولا تحترق كل ما على الأرض من نبات وحيوان ولتبخرت المياه، وانعدمت نتيجة لذلك الحياة عليها وكذلك الطرف الآخر: الطرف غير المتوجه نحو الشمس لبقى في ظلام دائم وبرودة قارصة، وانجمد بسببها كل ما على الأرض من نبات وحيوان ومياه وانعدمت الحياة عليها أيضاً.

فإ تعالی جعل هذه الدقة المتناهية في الخلق: من تعاقب الليل والنهار إلى ما هنالك من ملايين الأنظمة والقوانين والخواص تذكراً لمن أراد أن يذكر وعبرة لمن أراد أن يعتبر: لمن أراد أن يقوم بواجب الشكر تجاه نعمه التي لا تعد ولا تحصى فيشكر إ تعالی بصلاة يصلّيها وصوم يطهر به نفسه وزكاة يطهر بها ماله وخمس يؤدي به ما فرض إ عليه، وحج يتقرب به إلى إ، وانفاقٍ وبذل وقيام بحوائج الناس وأعمال صالحات، وبر الوالدين وصلة الرحم، وتسبيح إ تعالی وتقديسه.

فلا يعتبر بآيات إ تبارك وتعالی وما أودع في الكون من حركات وقوانينٍ إلا من آمن ولا يؤمن حقاً إلا من اتقى إ، ولا تتم التقوى إلا بالقيام بواجب الشكر. ولكل عضو من أعضاء الإنسان شكر يناسب ذلك العضو، ولكل جارحة من الجوارح شكر يناسبها، ولكل ما من إ على الإنسان من منصب وجاهٍ وعلم وكمال شكر يناسبها، كما أن لكل ما من إ على الإنسان من مال ومنال وأرض وعقار شكراً عملياً يناسبها. ولا يكفي قولك: الحمد إ، إذا من إ عليك بدور متعددة حتى تسكن في إحداها بعض المعوزين من أيتام وأرامل وغيرهم. فقد جاء في الحديث: "من كانت له دار، فاحتاج مؤمن إلى سكنها، فمنعه إيّاها، قال إ عز وجل: ملائكتي بخل عبدي على عبدي بسكنى الدنيا، وعزتي، فلا يسكن جناي أبداً".